

الحلقة التاسعة والأربعون

سلسلة رمز وحقيقة

أنوار كاشفة

سفر النبي ميخا

مستمعي العزيز، مازلنا ندرس أسفار الأنبياء في العهد القديم من الكتاب المقدس. وهي الأسفار التي احتوت على العديد من النبوءات، التي تحدثت عن خلاص الله الذي سيعلن، والمسيح المخلص الآتي.

وكنا قد بدأنا قبل لقاءين بدراسة سفر النبي يونان. فعلمنا أن حادثة بقاء يونان في جوف الحوت لمدة ثلاثة أيام ، كانت ترمز إلى موت المسيح الكفاري على الصليب، ودفنه في القبر، وقيامته في فجر اليوم الثالث. ثم عاد يونان وأطاع الله وذهب إلى مدينة نينوى في العراق ، مناديا بالتوبة. فتجاوب سكانها معه وتابوا. وتبين لنا أن هذا يشير إلى رحمة الله لجميع البشر. وإلى التمهيد لبشارة الإنجيل التي سيُركز بها إلى كل أنحاء العالم.

ننتقل اليوم إلى السفر التالي من أسفار الأنبياء ، ألا وهو سفر النبي ميخا. وميخا هو اسم عبري معناه: من كيهوه ، أي من كائيه. عاش النبي ميخا في فلسطين في القرن الثامن قبل الميلاد. وكان معاصرا للنبي إشعياء. يتضمن سفر النبي ميخا نبوءات عن خراب أورشليم والسامرة ، وسبي سكانهما. وتتأ النبي ميخا عن ولادة المخلص المسيح ، وحدد المكان الذي سيولد فيه. وتتأ أيضا عن خلاص الله لكل الشعوب، وغفرانه للذنوب.

لعلّ أهم نبوءة وردت في سفر النبي ميخا، هي نبوءته عن ولادة الملك المخلص المسيح، لا بل تحديده بالاسم البلدة التي سيولد فيها. ولا بأس هنا أن نقرأ على مسامعكم أعزائي، ما قالته النبوءة بهذا الخصوص. " أما أنت يا بيت لحم أفراتة وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطا على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل. " (ميخا ٥:٢) أي أعلنت النبوءة هنا أن الملك الذي سيأتي ويُعلن خلاص الله سيولد في بلدة بيت لحم. وفعلا، بعد أكثر من سبع مئة سنة تمّت هذه النبوءة، وولد المسيح الملك من العذراء مريم في بلدة بيت لحم بفلسطين.

لكن كيف تمّت هذه النبوءة؟ أرسل الله الملاك جبرائيل إلى مدينة الناصرة في منطقة الجليل بشمال فلسطين، ليُخبر العذراء مريم أن الروح القدس سيحل عليها، فتحبل وتلد ابنا هو الملك المخلص المسيح. وعندما اقتربت أيام مريم العذراء لتلد ، صدر قرار من الإمبراطور الروماني في تلك الأيام أوغسطس قيصر ، بإحصاء سكان الإمبراطورية الرومانية. وكان على كل إنسان أن يذهب إلى بلده التي أتت منها. وهكذا أخذ يوسف مريم خطيبته الحُبلى إلى بلدة بيت لحم ، لكونه من بيت الملك داود وعشيرته. وبينما

هما هناك تمت أيام العذراء مريم لتلد ، فولدت الطفل يسوع المسيح في المذود ، إذ لم يكن لهما مكان في المنزل. (راجع بشارة لوقا ٢:١-٧)

وعندما أتى المجوس وهم من علماء الفلك في ذلك الزمان، أتوا من بلاد المشرق إلى أورشليم، سألوا قائلين: " أين هو المولود ملك اليهود. فإننا رأينا نجمة في المشرق وأتينا لنسجد له. (بشارة متى ٢:٢) فاضطرب الملك هيرودس وخاف ، إذ ظن أن هذا الطفل الملك سيأخذ عرشه يوما ما. ثم جمع الملك كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب من اليهود، وسألهم: أين يولد المسيح؟ فأجابوه قائلين: " في بيت لحم اليهودية. لأنه هكذا مكتوب بالنبي. وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا. لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل. " (بشارة متى ٢:٥ و٦) أي عاد علماء الدين اليهودي إلى نبوءة ميخا، التي تحدثت عن ولادة الملك المسيح في بيت لحم. وبذلك أكدوا أن الملك المسيح لابد أن يولد في بيت لحم. وهذا الذي حصل بالضبط، إذ ولد المسيح في بيت لحم.

ونعلم من الإنجيل بحسب بشارة متى، أن المجوس ذهبوا إلى بيت لحم ، وسجدوا للطفل الملك المسيح. وأصدر بعدها الملك هيرودس أوامره ، بقتل كل الأطفال الصبيان في بيت لحم، لكي يقضي على الطفل الملك. لكن الله كان قد أرسل ملاكه ، وأخبر يوسف لكي يأخذ الطفل المسيح وأمه مريم ، ويذهب إلى مصر. وبقوا هناك إلى وفاة الملك هيرودس. وكان هذا أيضا إتماما لنبوءة أخرى ، كنا قد تأملنا بها في لقاء سابق. (راجع بشارة متى ٢:٧-٢١)

ونلاحظ صديقي المستمع من نبوءة ميخا المذكورة ، أمرا هاما آخر. إذ لم تتحدث النبوءة عن ولادة المسيح الملك في بيت لحم فحسب ، بل أخبرتنا أيضا عن شخصيته الأزلية. إذ قالت النبوءة عن المسيح الملك: " ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل. " أي أن هذا الملك المسيح الذي سيولد كطفل في بيت لحم، له وجود سابق، قبل تجسده وولادته، وجود أزلي.

أجل، إن الطفل يسوع المسيح الذي حُبِلَ به من الروح القدس ، في أحشاء مريم العذراء ، كان موجودا قبل تنازله العجيب وتجسده، مع الله الأب منذ الأزل. وهو ما أشارت إليه بالضبط نبوءة ميخا. لهذا كتب البشير يوحنا في بشارته قائلا: " في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس. " ثم أضاف البشير يوحنا قائلا: " والكلمة صار جسدا وحلَّ بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحد من الآب مملؤا نعمة وحقا. " (بشارة يوحنا ١:١-٤، ١٤)

واضح هنا أن الكلمة الذي كان عند الله ، والذي خلق الله الآب بواسطته العوالم والأكوان ، يشير إلى المخلص المسيح. الذي هو الكلمة الأزلي الذي كان متحدا مع الله الآب. وهذا الكلمة الأزلي هو الذي تنازل من السماء وتجسد ، وصار إنسانا هو الملك المخلص المسيح. أي أن ولادة المسيح لم تكن هي البداية بالنسبة له، إذ هو الكلمة الأزلي. وهو الذي كشفته لنا نبوءة النبي ميخا .

لم يتنبأ النبي ميخا عن ولادة الملك المسيح في بيت لحم فحسب ، بل تنبأ أيضا عن خلاص الله الذي سيعلن إلى جميع الشعوب ، وعن رحمة الله ومغفرته للذنوب. فتنبأ عن آخر الأيام، وكيف سيكون جبل الرب ثابتا في رأس الجبال ، وتجري إليه شعوب وأمم كثيرة. وهذه إشارة واضحة إلى خلاص الله الذي سيعلن إلى كل الشعوب والأمم، من خلال المخلص الملك المسيح. وهو الذي تمّ مع إعلان بشارته الخلاص المفرحة في المخلص المسيح ، إلى كل أنحاء العالم. إذ آمن ويؤمن بها أناس كثيرون ومن مختلف الشعوب. ويعرف كل من يؤمن طريق الرب، ويسلك في سبله، كما تنبأ النبي ميخا. (راجع ميخا: ٤-١: ٥)

ثم ختم النبي ميخا سفره بهذه الآيات البليغة: " من هو إله مثلك غافر الإثم وصافح عن الذنب لبقية ميراثه. لا يحفظ إلى الأبد غضبه فإن يسر بالرأفة. يعود يرحمنا يدوس آثامنا. وتطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم." (ميخا ٧: ١٨ و ١٩) أجل مستمعي، لا يوجد إله مثل إلهنا، يغفر الإثم ويصفح عن الذنب. يعود ويرحمنا ، ويدوس آثامنا ، أي تصبح لا قيمة لها عنده. وليس هذا فحسب، بل يطرح في أعماق البحر جميع خطايانا ، إذ ينساها ولا يعود يذكرها. فهل توجد رحمة أعظم من هذه؟ أن يغفر الله لي أنا الإنسان الخاطئ جميع ذنوبي وآثامي. وأن ينساها بالكلية ، وأن أبدو أمامه وكأنني لم أفعل خطية البتة. لكن على أي أساس يغفر الله ذنوبي ولا يعود يذكرها؟

من الواضح أن رحمة الله قد أعلنت من خلال المخلص المسيح، وعمله الكفاري على الصليب، وقيامته المجيدة من بين الأموات. فلقد أخذ المسيح بموته الكفاري على الصليب عقاب ذنوبنا ، إذ مات عوضا عنا. وقيامته المجيدة ، أكد الله الآب لنا أن المسيح قد أكمل عمل الفداء من أجلنا، وأنه قبل ذبيحته الكفارية. وعلى هذا الأساس يغفر الله خطايانا، ونصبح أبرارا أمامه.

إذن، لكي نحصل نحن البشر الخطاة على رحمة الله وغفرانه لخطايانا، علينا أن نتوب عن ذنوبنا، ونؤمن بموت المسيح البديلي من أجلنا، وقيامته المجيدة. وعندئذ نحظى ببركة الغفران الكامل. ألا ترغب مستمعي أن يغفر الله آثامك وأن يدوس آثامك؟ وأن يطرح جميع خطاياك في أعماق البحر؟ تعال بتوبة صادقة ، وإيمان قلبي أكيد بالملك المخلص المسيح، وعمله الكفاري على الصليب.